



نشأة معقدة:

نشوء الظاهرة الجهادية الحديثة ثم نموها وانتشارها لم يكن سهلاً وانسيابياً، بل كان معقداً ومتشاركاً وفي مواجهة غابة من التحديات. واستحضار الظروف التي نشأ فيها الجهاد الحديث، يساعد في استيعاب وإدراك كثير من التصرفات التي تصدر عن التيارات الجهادية وتصور طريقة تفكير وتصرف الجهاديين. (١)

هذا الإدراك والاستيعاب قد يعني التفهّم في الربط بين المبررات والمخرجات، لكن لا يعني إقرار كل ما يصدر عنهم أو ينسب إليهم. والمسلم لديه هامش مرونة يسمح له بالتعايش مع الظروف، لكن هذا الهامش لا يعني ضوءاً أحضر لتجاوز كل الخطوط الحمراء. (٢)

الفكر الجهادي فرض نفسه:

فرضت التيارات الجهادية نفسها عملياً ونظرياً بكل كفاءة، أما عملياً فقد صمدت بنفس طويل وتحمل لا ينقطع أمام الاتفاق العالمي ضدها، وأما نظرياً فقد فرضت نفسها من خلال الاستحواذ على جزء كبير من الجدل الإسلامي وجَعل الأدبيات الجهادية حاضرة في الميادين الفكرية والثقافية.

هذا الفرض الواقعي والنظري أنتج كمية هائلة من المخرجات الجهادية التي أصبحت المادة الأكبر للتداول الإعلامي والثقافي والشعري بين العلماء والمثقفين والنشطاء وحتى في مجالس العوام. ومناقشة هذه المخرجات في كل الميادين وعلى كل المستويات أمر لا يمكن تجاهليه ولا التقليل منه. (٣)

خصوم أقوى من الحكومات:

الظروف التي نشأ فيها الجهاد هي ذاتها التي تجعل تعامل القوى غير الجهادية مع هذه المخرجات بعيداً عن المنهجية. وكثرة خصوم التيارات الجهادية وقوتها قدراتهم الإعلامية والبشرية والثقافية والاجتماعية والمادية تجعل التجرد صعباً في تناول هذه الظاهرة.

ومن المعلوم أن خصوم التيارات الجهادية ليس الحكومات فقط، رغم ما للحكومات من إمكانات إعلامية وثقافية وسلطة وقدرة على توجيه الرأي العام. والحقيقة فإن من أقوى خصوم التيارات الجهادية هي التيارات الإسلامية الملزمة بالسلمية، والتي غالباً ما تجد نفسها في حالة حرب فكرية مع التيارات الجهادية. (٤)

نظراً لقوة تأثير هؤلاء الخصوم فإن من يحاول تناول مخرجات الجماعات الجهادية ملزماً بأن يخرج من تأثير أدوات الخصوم، ويتعامل بشكل مستقل مع هذه المخرجات. ولا يمكن أن يتم هذا التناول إلا ببذل أقصى درجات التجرد والمنهجية، وهذا يستدعي جهداً نفسياً وذهنياً هائلاً واستحضاراً قوياً للمرجعية المنضبطة.⁽⁵⁾

في محاولة رصد متجربة يمكن ملاحظة مجموعة من المآخذ على بعض التيارات الجهادية لها علاقة مباشرة بما ذكر أعلاه. من هذه الظواهر: الغرور الفكري، ونزعـة تـصـنيـفـ الآخـرـينـ، وـمـارـسـةـ دـورـ الحـكـمـ، وـالـتـسـاهـلـ فـيـ الدـمـاءـ، وـالـاستـهـانـةـ بـالـمـواـزـنـاتـ السـيـاسـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ، وـالـفـوـضـيـ الـإـعـلـامـيـ، وـالـخـلـطـ بـيـنـ مـثـالـيـاتـ الـدـيـنـ وـالـتـطـبـيقـ الـوـاقـعـيـ، وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ مـاـ سـيـتـمـ التـعـرـضـ إـلـيـهـ فـيـ هـذـاـ المـقـالـ.

الغرور الفكري:

المهمة الجهادية خطيرة وصعبة، ومن يتحمل مسؤوليتها بخطورتها وصعوبتها الكبيرة ليس غريباً أن يعتبر ذاته متصدياً لأمر تخلي عنه الآخرون، وبذلك يعطي نفسه الحق أن يمتاز عليهم تميزاً واضحاً. وإذا استصحب الجهادي شعوره هذا بما يعلمه من الثناء العظيم على الجهاد في الكتاب والسنة، فسوف يتحول الشعور بالتميز إلى قناعة بالتفوق، وارتفاع في منزلة عند الله فوق كل الآخرين.

وهذا بذاته لا إشكال فيه، فلا يلام الجهادي على ما يراه تميزاً أو تفوقاً نفسياً ووظيفياً وتصدِّر لمسؤولية تخلي عنها الآخرون. ولا إشكال أن يرى الجهادي نفسه سابقاً وفائزاً بجائزة سلام الإسلام وكل صفات الثناء على المجاهدين في الكتاب والسنة. لكن الإشكال هو في أن يؤثر هذا الشعور في صياغة المواقف الفكرية والشرعية فيتسبب بنتائج ضارة بالجهاد نفسه.

النتيجة الأولى هي رفض ما يقوله غير الجهاديين - حتى لو كان حقاً - بحجة أن قائله من القاعدين الذين تخليوا عن الجهاد وتخليوا عن دعم أهله، فلم يوهبوا التوفيق في الفهم والفتيا التي وفق لها أهل التغور. ورفض المواقف والفتاوی والأفكار بحجة أنها صدرت عن القاعدين مخالفة صريحة لمنهج النبوة في قبول الحق أياً كان قائله، حتى لو كان كافراً بل حتى لو كان الشيطان نفسه.⁽⁶⁾

النتيجة الثانية هي تحول الثقة بالمواقف والآراء إلى غرور فكري يدفع بعض الجهاديين إلى حالة قريبة من العصمة، بسبب اعتقادهم أن أهل التغور يلهمون التوفيق في مسائل الخلاف، فيتخذون مواقفهم بثقة في غير سياقها وطمأنينة في غير محلها.⁽⁷⁾

وإذا كان كثير من خصوم التيارات الجهادية بفتاوی وبيانات لا يمكن تأصيلها شرعاً ولا قبولها منطقاً، فهذا لا يعطي الجهاديين حق صياغة الشرع بذوات العداوة لهؤلاء أو بالهواجس والإسقاطات النفسية. والعكس صحيح، فتجاوز بعض الجهاديين في المواقف لا يعني تصحيح مواقفهم خصومهم من الذين يسوقون الفتاوی والمواقف بلا مبالاة بالمنهجية الشرعية.⁽⁸⁾

ومن عاشوـاـ فـيـ جـوـ الـجـهـادـ يـعـتـرـفـونـ بـثـقـلـ تـأـثـيرـ هـذـاـ جـوـ الـذـيـ يـدـفـعـ لـثـقـةـ عـارـمـةـ بـالـنـفـسـ وـاستـعـدـادـ دـائـمـ لـلـاسـتـهـانـةـ بـ"ـالـقـاعـدـينـ"ـ أوـ تـخـطـئـهـمـ.ـ وـمـعـ ذـلـكـ يـعـصـمـ اللـهـ كـثـيرـاـ مـنـ الـجـهـادـيـنـ مـنـ الـزـلـلـ،ـ بـتـشـبـهـمـ بـالـحـذـرـ الشـرـعـيـ،ـ وـكـبـحـمـ نـزـعـةـ الغـرـورـ،ـ وـمـنـعـهـاـ مـنـ تـجاـوزـ حدـودـ الـانـضـباطـ الـمـنـهـجـيـ.ـ وـالـجـمـاعـةـ الـتـيـ يـكـثـرـ بـيـنـ قـيـادـيـهـاـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ كـبـحـ الغـرـورـ الـفـكـريـ عـادـةـ تـكـونـ أـكـثـرـ رـشـداـ وـالـتـزـامـاـ بـالـمـنـهـجـيـةـ الـشـرـعـيـةـ السـنـيـةـ مـمـنـ أـصـيـبـ بـهـذـاـ الغـرـورـ.

هـذـاـ الغـرـورـ الـفـكـريـ هـوـ الـذـيـ يـفـسـرـ اـسـتـرـخـاءـ كـثـيرـاـ مـنـ الـجـهـادـيـنـ،ـ وـهـمـ يـتـحـدـثـونـ فـيـ الـيـوـتـيـوـبـ أوـ فـيـ التـوـيـترـ،ـ بـمـوـاقـفـ لـوـ عـرـضـتـ عـلـىـ الـأـئـمـةـ الـأـرـبـعـةـ لـتـوـقـفـوـ فـيـهـاـ.ـ وـيـفـسـرـ كـذـلـكـ نـزـعـةـ رـفـضـ النـصـيـحةـ وـالـاسـتـخـفـافـ بـالـآـخـرـينـ وـالـاسـتـهـانـةـ بـمـاـ لـدـىـ

نزعه التصنيف والحكم على الأشخاص:

لا إشكال عند العلماء أبداً في وصف عمل بالكفر ما دام هذا وصفه في الكتاب والسنة، ومثله وصف عمل بالخيانة أو الفسق أو الفجور ما دام هو كذلك. وبناء عليه فلا توجد حساسية ولا تضائق من تكبير ممارسة معينة أو وصف موقف معين بالكفر أو الفجور أو الخيانة. لكن في مقابل هذه السهولة في وصف الأعمال والمواقف، فقد دأب العلماء على تحاشي تكبير الأعيان أفراداً كانوا أو جماعات ما داموا من أهل القبلة، كما دأبوا على تجنب وصفهم بالخيانة والفسق إلا بشروط قاسية. (١٠)

كثير من المحسوبين على التيارات الجهادية يعتقدون أنه لا يمكن تبرير مواقفهم القتالية إلا بسلسلة من التصنيفات التي تتضمن تكيراً عينياً لأفراد أو جماعات أو أنظمة أو تخوينهم وتجريمهم. ولذلك فإن غالبية بياناتهم مشحونة بلغة التصنيف الذي يشتمل في مجمله على الوصف بالبردة وكان هذا التصنيف ذريعة براجماتية وليس موقفاً منهجياً. (١١)

وبغض النظر عن الموقف من التكبير العيني، فإن اعتباره شرطاً للتصرفات والمواقف القتالية يدل على بعد عن المنهجية الشرعية السليمة، لأن هذه المنهجية لا تجعل التكبير مبيحاً للدم مطلقاً، ولا الشهادة بالإسلام عاصمة للدم مطلقاً. والعكس صحيح، فالمستلزمات الشرعية تجاه طائفة أو نظام معين ليست بالضرورة مرتبطة بتكبير الأشخاص ولا الجماعات، بل إن الحكم في الأصل إنما يكون على الواقع الظاهر نفسه. (١٢)

وظاهرة اللجوء للتکبير العینی والإکثار من الوصف بالبردة لها سببان، أحدهما خلل منهجي والثاني إشكال نفسي. أما منهجي فهو العجز عن التفريق بين تکبير "العمل والممارسة" وتکبير "الأعيان والجماعات". وأما السبب النفسي فمنبعه ما سبق ذكره من الغرور الفكري، مضافاً إليها شحنة الانتقام بسبب ممارسات خصوم التيارات الجهادية وخاصة الحكومات.

(١٢)

والتصنيف عند كثير من الجهاديين يتحول مع الزمن إلى نسق وطبع، فلا يقف عند التكبير بل يتسامل بعضهم في وصف الآخرين بالخيانة والعمالة والانحراف والتخلّي عن المسؤولية وغيرها من الأوصاف القاسية. وأحياناً لا يستثنون من ذلك رفقاء الجهاد، خاصة إذا كانوا من تيار آخر، وقد انتشرت اتهامات كثيرة بالتخوين والوصف بالبردة من قبل تيار ضد تيار آخر أو ضد شخصيات محسوبة عليه. (١٤)

الحزبية للجماعة والغلو في القيادات:

تكتمل نزعه التصنيف بتنامي ظاهرة الحزبية التي جعلت التيارات الجهادية في حالة عداء مع بعضها البعض كما هو الحال في سوريا. وإن كانت الحزبية واضحة أيام الجهاد الأفغاني بين الفصائل الأفغانية، فلم تكن واضحة في بداية انطلاق العمل الجهادي العالمي، لأن التيار الغالب كان واحداً بقيادة واحدة وتوجه واحد ثم بدأ التعدد يفتح المجال للحزبية.

وامتداداً للحزبية لوحظ عند بعض التيارات الجهادية الغلو في تزكية قياداتهم والدوران معها دون تفكير. ولذلك تجد الكتابات والتعليقات الجهادية تصدر دون تريث في دعم مواقف ذلك التيار أو القائد فور إعلان قرار معين أو تنفيذ عمل معين منسوب لذلك التيار. وبعض الأحيان تأتي النتيجة بطريقة محروجة حين يتحمس التابع لتيار معين بتزكية عمل أو بيان ثم يتبيّن أنه مكذوب ويضطر للتراجع فينكشف غلوه في قائد وحزبيته لجماعة.

التساهم في الدماء:

قضية الدماء قضية حساسة في الإسلام، وقد بالغ الشرع في النهي عن سفك الدم المسلم حتى جعل حرمة أعظم من حرمة الكعبة. (١٥) والجهاديون لا يشكرون "نظرياً" بحرمة الدم المعصوم، لكنهم في التطبيق العملي لهم تبريراتهم. ولا يمكن فهم هذه التبريرات إلا بعد وضعها في سياقين، الأول توسيع هامش الرخصة في القتل غير المقصود (القتل العرضي) والثاني

توسيع هامش القتل المقصود نفسه.

القتل العرضي يقصد به من يقتل وهو في عملية جهادية أو في ميدان المعركة بعد استهداف جهة غيره. والقتل العرضي في أصله مبدأً مقبول في الأعراف الدولية (١٦) ومقبول كذلك في الشرع، كما جاء في التعامل مع ما يسمى بـ"الترس" (١٧). لكن قبولة شرعاً ليس تفويضاً مفتوحاً لتوسيع دائرة القتل، والفقهاء حين بينوا مفهوم الترس إنما وضعوا له حدوداً واضحة وشروطًا حادة منعاً لأن يكون ذريعة لسفك خاطئ للدماء.

بعض الجهاديين يوسع مفهوم الترس لدرجة الاستعداد لقتل العشرات من معصومي الدم من أجل شخص واحد، بل ربما دون ضمان أن يقتل المقصود. ويبين هؤلاء أن احتياطات المستهدفين وقوتهم تدعوا للاستعداد للتضحية بهذا العدد من المسلمين، وأن هذه ضرورة للانتصار على أعداء الإسلام.

بدأت ظاهرة التساهل في القتل العرضي بتوسيع الهامش قليلاً، ثم تطورت حتى وصلت عند بعض التيارات الجهادية إلى لامبالاة بالدماء المعصومة ما دام الهدف المقصود مبرراً. ولقد سجلت بعض العمليات "الاستشهادية" التي قتل فيها الكثير من المسلمين ولم يقتل فيها المستهدف أصلاً. (١٨)

النوع الثاني هو القتل المقصود لأشخاص مستهدفين بذاتهم، يقتلون إما في الميدان أو في الأسر من هناك شبهة قوية في استحلال دمهم. ويبين الجهاديون هذا القتل إما بتطبيق الحكم بالردة أو بالتخوين والعمالة والتجسس، دون مراعاة الحدود الشرعية لهذه الأحكام والتثبت المطلوب فيها. وعند بعض الجهاديين يكون القتل بعض الأحيان تحقيقاً "لمصلحة" حتى مع وجود شبهة في عصمة دم المستهدف بالقتل. (١٩)

التخطيط العاطفي:

الخطة العسكرية الاستراتيجية تحتاج إلى تجربة كاملة من العواطف، ولا بد فيها من ترتيب المراحل طبقاً لمصلحة التفوق الميداني وال النفسي وكسب قلوب وعقول الحاضنة الاجتماعية. بعض التيارات الجهادية يراعي ذلك لكن البعض الآخر تحكمهم العواطف أكثر مما يحكمهم هذا التخطيط الاستراتيجي.

المقصود هنا ليس دقة تنفيذ معركة محددة بذاتها ولا تنفيذ سلسلة معارك، بل المقصود ترتيب المواجهة الكلية بأدواتها المختلفة و اختيار الأهداف في كل مرحلة. وكلما كان اختيار الأهداف وترتيبها مبنية على عواطف انتقامية أو نظر قصير كلما كانت الهزيمة مضمونة.

يعترف بعض الجهاديين بهذه الحقيقة، ويبينون ذلك بالحصار المفروض عليهم وقطع الصلة بالقيادات الحكيمه والخبرة بالتلطيط. والاعتراف لا يمكن أن يكون دليلاً على التواضع إلا إذا ثبت أن إدراك الخطأ كان درساً نافعاً ولن يعود له الجهاديون. لكن الحقيقة أنهم يكررون هذه الأخطاء في معظم ميادين الجهاد، ويغفون مرة تلو المرة أسرى العواطف والاستجابة لرغبات الانتقام أكثر من أن ينقادوا للتخطيط استراتيجي مدروس. (٢٠)

الاستهانة بالحسابات السياسية والموازنات الاجتماعية:

يعتبر الجهاديون مشروعهم تغييراً تاريخياً شاملأً، مما يعني أن مواجهتهم لخصومهم مواجهة عامة وليس معركة عسكرية فحسب. والمواجهة الشاملة تقتضي بالضرورة مراعاة بقية جوانب الصراع وخاصة الجانب السياسي والجانب الاجتماعي والوعاء الذي يحمل هذه الجوانب وهو الوعاء الإعلامي.

والالتفات للجانب السياسي والاجتماعي ووعائهما الإعلامي ليس تأصيلاً منطقياً فحسب، بل هو عمل بالكتاب والسنة واقتداء بالنبي عليه الصلاة والسلام. والمهارة السياسية والاحتياطات الاجتماعية كانت سمة ظاهرة في العهد النبوي ولم تتعارض أبداً مع الثبات على المبادئ وعدم التساهل في الثوابت.

الطابع الغالب للتيارات الجهادية هو تجاهل هذه الحسابات والموازنات، والبالغة في ادعاء الالتزام بالثوابت، وزعم التشبيث بالمبادئ. وبمراجعة تاريخية لتصرفات هذه التيارات على مدى ثلاثة عقود، يلاحظ مدى الاستهانة بهذه الحسابات والموازنات بحجة الابتعاد عن البراجماتية. (٢١)

ولذلك ترى تصرفات هذه التيارات تدفع المحايدين دفعاً للاصطفاف مع خصوم الجهاديين، كما تحرّمهم من فرصة التضليل واللعب بالموازنات. ولنفس السبب تخسر هذه التيارات الدعم الجماهيري والحاضنة الاجتماعية والتعاطف من داخل الأجهزة الأمنية والعسكرية. (٢٢)

ثغرات الرسالة الإعلامية:

لا يقصد بالإعلام الجانب الفني ومهارة الإخراج والانتاج الذي تتقنه كثيرون من الجماعات، بل يقصد به هدف ومحفوظ الرسالة الموجهة وطبيعة التعامل إعلامياً مع التساؤلات والتطورات الجماهيرية والعالمية. ولا يمكن لهذه الرسالة أن تكون مؤدية لغرض إلا بانطلاقها مما ذكر أعلاه، أي (الخطة الشاملة المبنية على رؤية استراتيجية) وهو ما تفتقر له كثيرون من الجماعات الجهادية.

وبعد انتشار وسائل الاتصال لم يعد انضباط الرسالة وردود الأفعال مقتصرًا على القيادات والمندوبيين، بل أصبح كل المحسوبين على التيارات مهمين في الجانب الإعلامي. هذا الواقع الجديد أربك الصورة حين كثرت النواذن الإعلامية التي تدعى تمثيل تيار معين وهي تتحدث بلا انضباط ولا منهجية. ولا تُعذر التيارات الجهادية بأن ليس لها سلطة على "من هب ودب" ، لأن رسالتها العامة لو كانت منضبطة لما استطاع "من هب ودب" أن يتحدث باسمها وينسب لها هذه المواقف. (٢٣)

من جهة أخرى تندفع بعض هذه التيارات بأنها مستهدفة بالتضليل والتشويه من قبل الخصوم المقتدرین المسلمين بإمكاناتهم الهائلة، والتعاون العالمي، والنشاط الاستخباراتي، وكثرة العملاء في وسائل الاتصال الخ. لكن عزّهم هذا مرفوض، فلولا وجود ثغرات في الرسالة الإعلامية لبعض هذه التيارات، لما تمكن الخصوم "المقتدرین" من تشويههم ولا استطاعوا نسبة ما لا يمكن أن ينسب إليهم.

الخلط بين المثالية والتطبيق:

المسلم مطالب بالمثالية في تطلعاته وأماله وفكرة النظري، لكنه في نفس الوقت مطالب بأن يكون واقعياً وعملياً في تطبيقه وممارسته. والجهاد نفسه مر بمراحل في التشريع من الكف عن القتال، إلى جهاد الدفاع، ثم جهاد الطلب، والنبي صلى الله عليه وسلم ترك قتل المنافقين رغم معرفته بهم واحداً واحداً، وترك بناء الكعبة على قواعد إسماعيل. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم كلها موازنة حكيمة وراشدة بين المثالية في المبادئ، والواقعية في التطبيق والممارسة. (٢٤)

كثير من الجهاديين يعتقدون أن تبني الجهاد يعني التعامل مع كل الأمور بالمثاليات، ثم يتورطون بتعارض هذه المثاليات، فيدخلون في إشكالات يضطرون فيها للتغلب مثالية على أخرى بدلاً من أن يختاروا خيار الواقعية والعملية التي تمكّنهم من مدارتها كلها في وقت واحد. وكثير من الجدل الدائر بين فصائل الجهاد المختلفة، والجدل بينها وبين مخالفاتها، يعكس هذا التشبيث بالمثالية في التطبيق رغم النهج النبوي بالواقعية.

الاستهانة بالوسائل غير القتالية (العمل السلمي):

جو القتال والمعارك وحياة المعسكرات يؤدي بكثير من الجهاديين للاعتقاد أن المواجهة المسلحة هي الوسيلة الوحيدة للتغيير، ولا يمكن تحقيق الأهداف بأي وسيلة أخرى. ولذلك يستخف بعضهم بما يمارسه غيرهم من وسائل غير قتالية، مثل

المظاهرات والإضرابات أو وسائل سياسية وإعلامية واستخباراتية.

وقد يصل التفكير ببعض الجهاديين لاعتبار العمل الإسلامي تخلياً عن الجهاد، وليونة في وجه الطغاة، وتضييقاً لجهود الأمة في خطط بائسة. وربما تطور الموقف لدى آخرين لتخوين من يصر على الوسائلسلمية، واتهامه بأنه يتعمد تفريغ غضب الشعوب بوسائل لا تجدي نفعاً، منعاً لهم من الانخراط في الجهاد. وهذا الموقف مخالف لمبدأ شرعي أصيل لأن معظم هذه الأنشطة تقع بند "كلمة حق عند سلطان جائز" الذي جاء في الحديث أنه من أعظم الجهاد وقتيله سيد الشهداء. (٢٥)

في المقابل فإن قيادات أخرى في الجهاد من القيادات "الأكثر رشدًا" تحترم العمل الإسلامي وتعتبره رافداً للجهاد سواء نجح أو فشل. إذا نجح وأزيل الطغاة بعمل سلمي فالجو الجديد يسمح للتيارات الجهادية أن تتنعش تحت ظلال الحرية وهيبة الدين، وهم يرون هذا مكسباً كبيراً. وإذا فشل العمل الإسلامي بسبب القمع، فإن هذا القمع يتحول إلى حجة لدفع الناس للالتحاق بالجهاد ومن ثم يصبح بذاته أداة تجنيد للمشروع الجهادي.

من يستطيع معالجة هذه الظواهر؟

هذه الإشكالات عند الجهاديين فيها ضرر كبير لهم ولبقية الأمة، ولا بد أن تعالج، وأولى من يعالجها نفس التيارات الجهادية بوعي عقائدها وشعورهم بالمسؤولية وسعيهم للتغيير. وهؤلاء العقلاة مطالبون أن يجعلوا باستدراك هذه المشاكل قبل استفحالها وتعطيل المسيرة والتخييب على الأمة. وما دام يوجد قيادات وتيارات جهادية لا تعاني من هذه الإشكالات فهذا يعني أن الإشكالات ليست مرتبطة بنحوياً بالنفسية الجهادية ومن المفترض أن القيادات والتيارات الأخرى تستطيع التخلص منها.

أما القوى الإسلامية الأخرى وخاصة الجماعات الإسلامية والمشايخ المستقلين فيصعب أن يؤثروا في الجهاديين لأنهم في حكم المشبوهين عندهم. ولا يمكن أن يزيلوا هذه الشبهة، ومن ثم يستطيعوا التأثير في الجهاديين، إلا بعد إقناعهم بأمرين:

الأول الانضباط بالمرجعية السلفية الحقيقة، ويقصد بها الكتاب والسنة بفهم الصحابة، وليس فهم المشايخ المتأخرین والتونويريين الذين يسمون أنفسهم سلفيين.
والثاني تبرئة أنفسهم مما يُتهمون به من خذلان للجهاد ومهادنة للكفر والطغیان. (٢٦)

أما الحكومات فيستحيل أن تؤثر في الجهاديين وتقلل من إشكالاتهم بالإعلام والإقناع الفكري لأن الحكومات عدو لدود للجهاديين ولا يمكن أن يسمعوا لهم. لكن تستطيع الحكومات تحقيق ذلك بتوفير أوسع الفرص للعمل الإسلامي، لأن هذا التوسيع، أولاً يقلل من غضب الشباب وإصابته بتلك الإشكالات، ثانياً يسهل على المشايخ المؤثرين في الجهاد أن يوصلوا رسالتهم لهم باستخدام هذه الحرية.

* المقصود هنا ليس القاعدة والدولة فقط، بل كل التيارات الجهادية بما يشمل الطالبان والشيشان وحركة الشباب في الصومال والجماعات المقاتلة في الشيشان وشرق آسيا وشمال إفريقيا وغرب إفريقيا وغيرها.

١) لا توجد دراسة شاملة لتاريخ الحركات الجهادية لكن ربما في مقالنا "الاستراتيجية الجهادية بين الظواهر والبغدي" بعض الفائدة في التعريف بهذا التاريخ.

٢) نفترض هنا أن النقاش هو حول التيارات الجهادية السنوية الملزمة في الجملة بالنص الشرعي وفهمه على طريقة السلف وليس عن كل الحركات المقاتلة بمظلة إسلامية.

- ٣) استحواد الطرح الجهادي على جزء كبير من الناقاشات الفكرية والشرعية والإعلامية والأدبية والسياسية حقيقة لا ينكرها حتى خصوم الجهاديين بل إنهم يعتبرون تأكيدها جزء من مهمتهم.
- ٤) البيئة التي أفرزت التيارات الجهادية - وهي بيئة القمع والاحتلال وهيمنة القوى العظمى- هي نفس البيئة التي تعيش فيها القوى غير الجهادية وخاصة الجماعات الإسلامية السلمية، والتي لا تستطيع أن تخرج من دائرة التوجه العام فتتعامل مع التيارات الجهادية داخل إطار ما تبيحه هذه الأنظمة.
- ٥) مقالنا "تهور الشباب وحماس الدعاة دروس من الأنبياء والصحابة" فيه تقرير لهذه الفكرة.
- ٦) هنا بحث جيد في مشروعيةأخذ الحق من أي مصدر كان.
- ٧) ينسب لسفيان بن عيينة قوله "إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغر فإن الله سبحانه وتعالى يقول : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)". عبارة بن عيينة هذه عبارة غالبا ما يرددوها الجهاديون ويفسرونها على غير المراد بها.
- ٨) بقدر ما يؤخذ الجهاديون على غلوهم في بعض المواقف فإن كثيرا من خصومهم ينسفون المنهج الشرعي كله من أجل تخطئة الجهاديين.
- ٩) جولة صغيرة لأي متابع للتويتر على معرفات الجهاديين تطلعك على هذه الثقة العارمة بالنفس والشعور بما يشبه العصمة، وينقل الإخوة الذين في ميادين القتال أنهم يجدون صعوبة في تخفيف هذه الثقة العارمة.
- ١٠) بحث جيد في ضوابط تكفير المعين عند بن تيمية وبن عبد الوهاب للشيخ راشد بن أبي العلا الراشد.
- ١١) هذا الاستخدام للتطرف وحمل السلاح، أصله سوء فهم لما ورد في كتب العقيدة والفقه التي لا تجيز الخروج إلا على الحاكم الكافر، بينما الكتاب والسنة لم يرد فيه إشارة للتطرف العيني في سياق محاربة من يعطل الشرع ويؤالي الكفار. الظريف أن التيارات الجهادية تصبح صورة مرآة للتيار الجامي الذي يستخدم نفس الجدل لكن بالجهة المقابلة. ولو كان الموقف يقاس بالتكفير العيني فالجامية أولى بالإقناع لأن الناس عموما لا يحبون التطرف.
- ١٢) قد يحل دم المسلم لأسباب كثيرة، وقد يعصم دم الكافر لأسباب كثيرة، وهذا الرابط بين التطرف العيني والدم تسطيع وسداجة وليس عملا شرعيا ولا فهما للكتاب والسنة.
- ١٣) ولذلك فإن من مهمة قيادات التيارات الجهادية أن يربوا أتباعهم على التجرد وعدم تناول الدين بنوازع نفسية شخصية. هذا ليس معارضا لقوله تعالى "ويشف صدور قوم مؤمنين" لأن شفاء صدور المؤمنين لا يكون إلا بالانضباط بالكتاب والسنة وليس بتطويع الكتاب والسنة لرغبة الانتقام.
- ١٤) كثرة تبادل التخوين والاتهام بالعملية والتجسس ثم اتخاذ المواقف بناء عليها ظاهرة محزنة جدا في التيارات الجهادية وربما تكون أكثر أسباب الضعف والهزيمة فيهم، يقول تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).
- ١٥) هنا تتبع لبعض النصوص عن أن حرم المؤمن أعظم من الكعبة.
- ١٦) يسمى باللغة الإنجليزية **collateral damage** ويقصد به القتلى المدنيون غير المستهدفين بسبب القصف الموجه لأهداف عسكرية.
- ١٧) بحث مفصل في الترس من أحد المواقع الجهادية .
- ١٨) العمليات التي استهدفت الفنادق في الأردن سنة ٢٠٠٥ لم يقتل فيها أحد من المستهدفين ومات فيها عدد كبير من المسلمين.
- ١٩) لا نريد تسمية حالات معينة فربما يدعى من نفذها أنها لم نطلع على كل التفاصيل، لكن كثيرا من الجهاديين يعترفون بعد أن تهدأ الأمور أنهم لم يحاطوا شرعاً بما فيه الكفاية في حالات كثيرة.
- ٢٠) الكوارث التي وُثقت بسبب التخطيط العاطفي في "الجهاد الجزائري" في التسعينات تكررت في بلاد أخرى ثم عادت

وتكررت في الجزائر نفسها حديثاً.

- ٢١) بعض الدول من مصلحتها أن تبقى على الحياد بل ربما لبها استعداد للتعاون مع الجهاديين فلماذا تستعدى بدون مبرر؟ ليس مطلوباً من الجهاديين أن يثنوا على هذه الدول ويزكوها، بل يكفي سكوتهم عنها وتحاشي الصدام معها.
- ٢٢) شعوب وقبائل وتكتونيات اجتماعية متعاطفة مع الجهاد، بل وشخصيات من داخل المؤسسة العسكرية والأمنية تخسرها التيارات الجهادية بسبب المثالية المتكلفة أو سوء تخطيط المعركة.
- ٢٣) بعض القيادات في التيارات الجهادية مع الأسف يسرها وجود معرفات تستخدم اللغة السليطة وإساءة الأدب على الخصوم من الجهاديين الآخرين نيابة عنها، لأنها تتمنى هذا السب ولكن لا تريد أن ينسب لها.
- ٢٤) ومن ناقش هذه النقطة بن القيم في كتابه زاد المعاد وغالباً ما يناقشها بن تيمية في تعليقاته على أحداث السيرة.
- ٢٥) تخرير حديث "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائز" وهذا تخرير حديث "سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائز فأمره ونهاه فقتله"
- ٢٦) الكتابات التي تنشر على شكل مقالات وكأنها توجيه للجهاديين بمنطلقات لا تشتراك أصلاً مع الجهاديين في ثوابت أساسية (مثل قدسيّة النص الشرعي) يستحيل أن تؤثر فيهم. وكذا الكتابات التي تصدر من شخصيات أو جماعات تنتقد الجهاديين أكثر مما تنتقد الأنظمة أو ربما لا تنتقد الأنظمة أبداً، ولا تعدو هذه الكتابات أن تكون (ردحاً داخلياً).

المصادر: